الدراسة الأكاديمية منحتها ثقة كبيرة بالنفس

غادة شبير: الناس تحتاج الأصالة في الشكل والمضمون

القاهرة – يحيى صقر:

جائزة الموسيقى... لذة مع وجع عميق

غناء الموشحات صعب للغاية ويتطلب حنكة وتقنية

ذاع صيت المطربة اللبنانية غادة شبير, التي نالت الدكتوراه في العلوم الموسيقية, تغنت بالأشعار والموشحات على مسارح الدول العربية والأوروبية وحصلت على جائزة "بي بي سي" للموسيقى.. غادة شبير تفتح قلبها في حوار مع "السياسة" وتروي تفاصيل تجربتها في غناء الموشحات والأشعار وتفاعل الجمهور الغربي معها خلال حفلاتها وكيف بدأت الغناء ورأيها في الغناء اليوم.

متى عرفت أنك ستصبحين مطربة محترفة, وكيف كانت البداية؟

البداية كانت في المدرسة في الصفوف الدراسية الأولى, وقد كنتُ أغني في الأعياد بالمدرسة, عندما دخلتُ الجامعة وبدأت تعلم الغناء المحترف شعرت أنني أمام طريق ربما لم أختره انما حبي للغناء العربي الأصيل قادني إليه, وهنا شعرت حقيقة أنني بدأت بطريق لن ينتهي بالدراسة والبحث, إنما سيكون أمامي دراباً طويلة من الغناء والعمل المضني.

غناء الموشحات صعب لماذا اخترته وهل توقعت ان يلاقي نجاحا جماهيريا؟

نعم غناء الموشحات صعب للغاية لأن الموضوع لا يقتصر على حفظ اللحن بل على حفظ الإيقاع أيضاً ومعرفة الارتجال في الخانة, كما يتطلب حنكة وتقنية عالية في النفس لأن من خصائص الوشح الغناء المتواصل فلا وجود لـ "اللزمات الموسيقية" ما يحتم على المؤدي أو المطرب معرفة الجمل اللحنية, قطعها بالنفس ومعاودة الغناء بحرفية عالية.

في بداية الأمر لم أكن اتوقع أن يلاقي نجاحاً جماهرياً, سجلتُ ما اقتنعت به وما أحببت أن يُسجل بصوتي, وبعد تسجيل "ألبوم موشحات" شعرتُ أن الناس بحاجة إلى الأصالة في الشكل والمضمون, وبدأتُ وقتها بالحفلات والسفر والمشاركة في مهرجانات عالمية حول موضوع الوشح.

نلتَ جائزة "بي بي سي" للموسيقى عام 2007 عن البوم "موشحات", كيف كان احساسك؟

صراحةً لا يمكن وصف ما شعرت به, فهو أشبه بلذة مع وجع عميق ربما هو تلاقي أقصى درجات الفرح مع أقصى درجات التعب والخوف على العمل في آن معاً, كنتُ سعيدة جداً وأتذكر أنني كنتُ في صف العلوم الموسيقية أعلم طلاب الماجيستير في الجامعة, وعرفت أنني حصلت على جائزتين عالميتين على العمل فأكملتُ التعليم وأنا أبكي.

كيف ترين الفن اليوم, وهل يحقق رسالته؟
هناك من يقدم أعمالاً جيدة وهناك دائماً الأعمال المبتذلة أو الرخيصة. والموضوع أصبح في يومنا هذا يتوقف على الفنان, إن كان محترفاً عمل على الظهور بأعمال جيدة, وإن كان هاوياً بقيت الأعمال بدائية فأنا أعتبر أن الفنان المحترف هو من درس أصول النغم وأصول الإيقاعات والشعر العربي. وما سوى ذلك يبقى هاوياً حتى ولو أصبح مشهوراً, فالشهرة لا تحدد هوية الفنان إن كان محترفاً أو هاوياً.
لك تجربة في التدريس كيف تصفينها؟
أنا متخصصة ودكتورة في العلوم الموسيقية. درستُ الموسيقى العربية لأكثر من عشر سنوات وما زلت اتابع حتى الآن. وقد أعطتني هذه التجربة ثقة كبيرة في النفس. وتعلمت من تلاميذي الكثير. فكل سؤال كان يُطرح عليّ, كان يفتح أمامي أبواباً عدة ويحثني على البحث أكثر فأكثر.
من تفضلين من الشعراء, وما القصيدة التي تتمنين أن تغنيها؟
هذا السؤال صعب. فالمشاعر لا تتحد بقصيدة لتفضل هذه القصيدة عن تلك لأنه بحر من الإحساس والصور والمعلومات القيمة. ففي كل شاعر روح تختلف عن الآخر. أحب الشعر الأندلسي وأحب الحلاج وفكره الفلسفي وأحب أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدة "مضناك جفاه مرقده" وأحب الأخطل الصغير في "يبكي ويضحك" وفي "اسقنيها". وأحب كمال جنبلاط وفكره الإنساني والفلسفي وقصيدته "شربنا المدامة". وأحب الأخوين رحباني والكلمة اللبنانية الجميلة. أحب جوزيف حرب وجرمانوس جرمانوس في القصيدة المحكية. أحب إيليا أبو شديد في قصيدة "تراب". أحب ميشال طراد في قصيدة "النبيذ". أحب جورج جرداق في قصيدة "هذه ليلتي". وسعيد عقل في قصائده عن الشام ولبنان. أنا أعشق الغناء لكنني أعشق الكلمة التي فيها صور ومعان وعمقاً فكرياً وأحياناً فلسفياً.
غنيت على العديد من المسارح في أوروبا, كيف كان تلقي الجمهور للأغاني وتفاعله؟ هل يختلف الجمهور الغربي عن العربي؟
الجمهور يتفاعل مع كل عمل موسيقي جميل, شرقياً كان أم غربياً. فالموسيقى تحاكي كل الشعوب بكل مستوياتهم الفكرية والعلمية والفنية. والجمهور الأوروبي يحب مقاماتنا العربية ويحب تراثنا الشرقي ويحسدنا على نغماتنا التي ما زالت متحركة تأبى التجميد في خلاياها. يحسدوننا على أبعاد النغم التي نستطيع تحديدها بالسمع وهي أبعاد صغيرة, غريبة على مسامعهم ربما.
يختلف الجمهور الغربي عن العربي أنه ما زال متعلقاً بالتراث. يتعطش لسماع الغناء العربي والموسيقى العربية القديمة منها والتراثية الصعبة والجميلة. ويحللون سمعياً ويتلذذون بسماع النغمات الشرقية التي ما عاد العرب يهتمون لها صراحة ويعتبرونها ثقيلة على السمع وصعبة على المتلقي.
هل أثرت الحرب على الفن في لبنان, وما هو التأثير؟
ألا يؤثر الخوف والألم والموت والحزن والقتل على أمة من الأمم؟ طبعاً الحرب مدمرة وخطورتها تكمن في تدمير النفوس وليس فقط الأرواح. أثرت على أعصاب البشر وعقولهم. أثرت على ذوقهم واهتماماتهم. أثرت على الفن عامة وليس فقط على الغناء. أثرت على الإنتاج العام. الحرب ليست فقط حرب القتل والدمار, إنما أيضاً حرب الثقافة والفنون. البلد يرتقي بشعرائه وفنانيه وموسيقييه ومناحفه وثقافة شعبه. فإذا دمرت كل ذلك كيف يرتقي البلد؟ كيف ترتقي الشعوب؟ أليست الحرب في العالم العربي اليوم مدمرة للثقافة الشعوب فيها؟ ألم تدمر المتاحف والمكتبات؟ ألم يدمر التراث؟ أنا شخصياً في كل مشهد قتل لأي إنسان حصل في العالم العربي جعلني حزينة, وحجلتُ الغناء لفترة. كيف نغني وأمهات الشهداء تبكي؟ كيف ننتج عملاً فنياً وأنت ترى المجازر والدمار والخطف؟